د . سهيل ادريس

مؤتمر الادباء في الجزائر

شاركت في جميع مؤتمرات الادباء العرب ، رئيسا للوفد اللبناني أو عضوا فيه ، وحضرت المكتب الدائم للادباء العرب في جميع دوراته وأسهمت في مناقشاته .

ويسعني ان أقول ان المؤتمر العاشر للادباء العرب الذي انعقد في الجزائر العاصمة ، من ٢٥ الى ٢٨ نيسان الماضي ، كان من افضل المؤتمرات التي عقدتها هذه المنظمة، من حيث جو الحرية الذي ساد أعماله جميعا ، ومن حيث التنظيم الذي رافق مختلف نشاطاته .

اما الحرية التي أتيحت للاعضاء ، في المؤتمر وفي المكتب الدائم ، فقد أدت الى نتائج ايجابية لم يكن ممكنا بلوغها في المؤتمرات السابقة . ذلك ان المشرفين على مؤتمر الجزائر ، ولا سيما رئيسه الدكتور عبد الله ركيبي، كانوا يشعرون المؤتمرين ، منذ البدء ، بأنهم هم سادة المؤتمر يديرونه كما يشاءون ، بلا وصاية ولا ضغط من أية جهة ، وان بامكانهم أن يتخذوا من القرارات والمواقف ما يريدون ، من غير اعداد سابق أو توجيه معين .

وهكذا دخل أعضاء المؤتمر « قاعة قصر الامم » في راحة نفسية واطمئنان داخلي مكّنا لهم أن يعبروا عن آرائهم ، على اختلافها ، بكل حرية .

بل لقد أخفقت تلك المحاولة التي كانت ترمي الى عدم انعقاد المكتب الدائم في الجزائر ، اذ طالب بعض رؤساء الوفود بتحويل اجتماعهم الى اجتماع للمكتب الدائم يستطيعون فيه أن يطرحوا من المسائل ما لا يحتمله اجتماع رؤساء الوفود ... وبذلك أتيح للمكتب أن يعالج قضيتين هامتين جرت محاولات كثيرة سابقة لتجنبهما وازاحتهما، وهما تكوين لجنة خاصة ، من بعض أعضاء المكتب الدائم ، للدفاع عن حرية التعبير ، واقرار مبدأ ضرورة تعديل بعض نصوص النظام الاساسي واللائحة التنفيذية للاتحاد العام للادباء العرب .

ولعل احساس الاستاذ يوسف السباعي ، الامين العام ، بأن « الحرية » تكاد تكون « مفروضة » فرضا على المؤتمر ، خلافا لما كان عليه حال معظم المؤتمرات السابقة، هو الذي جعله يتحلى بصبر و « طول بال » لم نكن نعهدهما فيه ... فكان أمرا يستحق الثناء أن يظل زهاء ثماني ساعات ، في جلستين للمكتب الدائم ، يستمع الى المناقشات ويشارك فيها بهدوء أعصاب ، ما عدا مرة واحدة تخلى فيها عن هدوئه حين طرح رئيس وفد المغرب فكرة اقرار « ميثاق شرف » للادباء ... صحيح ان نص هذا الميثاق كان يتضمن بعض الاحكام القاسية على مؤتمرات الادباء ، ولكننا كنا نؤثر لو ان الامين العام ظل ملتزما الاناة ، وترك لسائر الاعضاء أن يناقشوا الموضوع من غير محاولة للتأثير المسبق عليهم ... غير ان ذلك لا يمنعنا من القول بأن الاستاذ السباعي قد احترم ، هذه المرة ، جو الحرية الرحب الذي أتاحته الجزائر ، حتى اننا اقترحنا ، بين المزاح والجد ، أن تعقد جميع جلسات المكتب الدائم القادمة على أرض الجزائر (١) ...

ولا شك في ان القرار الذي اتخذه المكتب ، وأقره المؤتمر ، وورد في البيان العام بالنص الذي اقترحه الوفد اللبناني ، بتأليف لجنة دائمة للدفاع عن حرية التعبير ، ربما كان أهم قرار اتخذه الادباء العرب في مؤتمراتهم كلها .

صحيح ان قرار الدفاع عن حرية التعبير لدى الكاتب العربي قد ورد في توصيات المؤتمرات جميعا ، ولكن أهميته في هذا المؤتمر تصدر من زاويتين ، أولاهما انه يتخذ في أول مؤتمر للادباء يلي مؤتمر تونس الذي

---

(١) كان رئيس المؤتمر ، الدكتور ركيبي ، من شدة الحرص على اتاحة حرية التعبير للجميع بحيث استغل عضو في الوفد المصري ، هو الحساني حسن عبد الله ، هذا الجو لتوجيه شتائم مقذعة للرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، فاستعمل الجمهور حقه في انزاله عن المسرح من غير ان يتم كلمته .

قمعت فيه حرية الفكر ، فهو بذلك انتصـــار للفكر الحر الذي هو الهم الاساسي للاديب العربي ، وثاني الزاويتين انه « رد اعتبار » حاسم لوفد اتحـــاد الكتاب اللبنانيين الذي حال الارهاب السلطوي في المؤتمر التاسع للادبـاء العرب دون استصدار قرار بشجب ما دعا الى شجبه من اضطهاد المفكرين والادباء والصحفيين المصريين فـي ذلك الحيـن .

ولن نكون من السذاجة بحيث نعتقـد ان قرار اليـوم سيضمن للاديب العربي ، بعـــد الآن ، حرية التفكيـر والتعبير ، وسيقيه قمع السلطة وارهابها ، وسيكفـل له الكلام دون خوف أو ضغط ... ان ذلك كـله لا يأتي الا بمضي المفكرين والادباء في طريق النضال والصراع مـن غير هدنة أو مهادنة . غير ان هذه اللجنة الدائمة لـن تستطيع الصمت بعد الآن عن أي قمع يتعرض له الاديب في أي قطر عربي ، ولا بد أن يكون لذلك اثره في وضع الاديب ، وفي وضع السلطة على حد سواء .

أما تنظيم المؤتمر ، فقد بلغ مستوى جيدا من الدقة والفعالية . ولعل هذه هي المرة الاولى في مؤتمرات الادباء التي نجد فيها الابحاث والاقتراحات والقصائد توزع في أوانها ، بالرغم من علمنا بوصول كثير من الابحاث متأخرة او ربما عشية انعقاد المؤتمر . ولم يكن ثمة تهاون أو تراخ في نظام الجلسات وأوقاتها وجديتها ، حتى ان الوفـود شكت من صرامة التنظيم ، وهي صرامـــة لم تعتدها في السابق . ولا بد من الاشارة هنا الى ان جهـاز التنظيم الذي وضع تحت امرة المؤتمر كان من الفعـالية بحيث استغنى اتحاد الكتاب الجزائريين عن جهاز المكتب الدائم الذي كان يشرف من قبل عـلى معظم مؤتمرات الادباء . وهو بذلك يستحق كل ثناء .

* * *

بعد تسجيل هذه الايجابيات للمؤتمر العاشر للادباء العرب في الجزائر ، لا بد من تسجيل بعض سلبياته .

السلبية الاولى تتعلق بالابحاث . فهناك وفود لـم تتقدم بأي بحث .. ونحن اذا غفرنا لبعض البلدان التي لم تبلغ من تطور الفكر والبحث والنقد ما يسمح لها بتقديم دراسات جادة ، فلسنا نفهم سببا لتخلف العراق مثـلا ، وهو ما هو في انتاجنا المعاصر ، عن نشر أي بحث ! كمـا اننا كنا نتمنى أن يقدم أعضاء الوفد الفلسطيني الحاضرين بعض الابحاث الشبيهة ببحث الدكتـور حسام الخطيب الذي كان غائبا ...

ثم ان مستوى الدراسات التي قدمت ، والتي كان من افضلها دراسات الوفـد اللبناني كما شهـد النقاد والحضور ، لم يسجل تقدما كبيرا عن ذي قبل.. وليست الجزائر مسؤولة طبعا عن ذلك ، بل ان المسؤول رغبـة مجاملة تدفع الى اكثار موضوعات المؤتمرات وبحثها أفقيا، بدلا من تقليصها وبحثها عمقيا ، وهو ما لا نفتأ نطالب بـه منذ وقت بعيد . ولعل هذه هي الفرصة المناسبة للمطالبة بعقد ما يمكن تسميته بـ « مؤتمر المؤتمرات الادبية » وقد اقترحنا ذلك فعلا في الجزائر على الامين العام ، وذهبنا الى ان المطلوب تقديم أبحاث ، في المؤتمر القـادم الذي سيعقد في ليبيا ، تتناول مؤتمرات الادباء العرب السابقة بالدراسة والتقييم . بحيث يمكـن ان نختط للمؤتمرات القادمة دروبا اكثر جدوى وفعالية في خدمة أدبنـا العربي الحديث .

والسلبية الثانية التي نوردها تتعلق بمهرجان الشعر الذي يربط عادة بمؤتمر الادباء ويليه في الترتيب .

وهذا المهرجان هو الرقم ١٢ في مهرجانات الشعر.. وقد بدأت المهرجانات الشعرية بداية جيدة ، اذ كان يشارك فيها كثير من المجلين من شعرائنا المحدثين ، ثم أخـذت تسوء تدريجيا بسبب من مجاملة البلدان التي تستضيفها، اذ راحت تطالب ، بصفتها البلد المضيف ، باشراك اكبـر عدد من شعرائها ، ولا سيما التقليديين ... وكان مـن نتيجة ذلك ان أخذ الشعر التقليدي العمودي يطغى فـي المهرجانات ، مما جعل ممثلي الشعر الجـديد يزهدون في المشاركة ، ويمتنعون شيئا فشيئا عن القاء قصائدهم اذا حضروا ... وفي مهرجان الجزائر ، سقطت معظم القصائد التي ألقيت ! فلـولا شعـر الجواهري وأبـي سلمـى ، لانهزم الشعر العمودي هزيمة منكره ، ولولا أحمد دحبور وحميد سعيد وسواهما قليل ، لاجهض الشعر الحديث..

وهكذا خرج حضـــور المهرجان بحصيلة هزيـلة استخلصوها مما يمكن وصفه حقا بـ « مجزرة » الشعر ! ذلك اننا كنا مرغمين على الاستماع لما يزيد على خمسين شاعرا لم يكن عدد الذين أبقوا منهم للشعر قيمته يتجاوز أصابع اليد الواحدة ... وهي نسبة مريعة لا بد معها من التفكير بايجاد صيغة جديدة لمهرجانات الشعر . ذلك ان المتلقي المتذوق يرهقه ارهاقا شديدا أن يتجشم مشقـة الاستماع الى خمسين شاعرا ليقبل منهم خمسـة ... وهو يفضل الغاء هذا المهرجان كليا ، أو قصره على عشرة شعراء يختارون اختيارا دقيقا من ممثلي شعرنا الحديث، يمنحون وقتا كافيا لقراءة نماذج من قصائدهم تعبر عـن تطورهم الشعري بصورة خاصة ، وعن تطور المســـار الشعري كله بصورة عامة .

وبعد ، فقد كنا نتمنى أن يسجـل مهرجان الشعر العربي الثاني عشر خطوة الى الامام ، على غرار مؤتمـر الادباء العرب العاشر ، لا أن يتقهقر الى الوراء !

* * *

كلمة الوفد اللبناني (١)

تركنا لبنان وهو ما يزال ينزف من آثار المجـزرة الرهيبة التي قامت بها عصـــابة الكتائب الفاشية ضد الثورة الفلسطينية وضد القوى الوطنية اللبنانية .

---

(١) نص الكلمة التي ألقيتها ، باسم الوفد اللبناني ، في حفـلة افتتاح مؤتمر الادباء العاشر بالجزائر .

وليست تلك المجزرة الا حلقة من سلسلة المؤامرات التي تحاك على الشعب اللبناني الذي يخوض معركة التحرر الوطني كجزء من حركة التحرر العربية . وحين نهضت القوى الوطنية والتقدمية تتصدى لهذه المؤامرة ، فقد كانت تعي وعيا عميقا بأن دعم المقاومة الفلسطينية ، الى كونه قضية قومية تفرضها وحدة المصير العربي ، هو قضية وطنية يؤديها الشعب اللبناني تعبيرا عن رغبته في التغيير وارادته في الخروج بالمجتمع اللبناني من آفات الطائفية والاقطاعية والاستغلال والارهاب الى آفاق الديمقراطية الصحيحة ، لا المشوهة ، والمساواة وتكافؤ الفرص والحرية ، لمصلحة جماهير الشعب اللبناني كلها لا لمصلحة فئة احتكارية معينة .

وقد وقف المثقفون اللبنانيون ، ممثلين باتحاد الكتاب اللبنانيين ، موقفا حاسما وصريحا من هذه الاحداث الدامية ، حين أعلنوا انحيازهم الكامل الى المقاومة الفلسطينية والى لبنان الحقيقي ، لبنان العربي الديمقراطي ، واستنكارهم للمؤامرة الرجعية الاستعمارية. وقد كان اتحادنا في موقفه هذا منسجما مع ايمانه ورؤيته وتحركه بصفته قوة وطنية طليعية مرتبطة بحركة التحرر العربي التي تعيشها الامة العربية في كل جزء من أجزاء الوطن الكبير .

ونحن اليوم ، اذ نتحدث هذا الحديث في أرض الجزائر ، فانما نتمثل المعارك البطولية والكفاح العظيم الذي خاضه الشعب الجزائري في سبيل تحرره من الاستعمار والتخلف عبر ثورة تعتبر من أعظم الثورات في التاريخ الحديث . فهي جديرة بأن تكون قدوة لسائر الشعوب العربية ، ومنها الشعب اللبناني ، في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخه ، على صعيد الصمود والتضحية والعطاء .

واذ نتحدث هذا الحديث في مؤتمر الادباء ، فلايماننا بأن هموم الادباء والمفكرين جزء لا يتجزأ من هموم الشعب، من هنا كان نضال المثقف اللبناني ، ولا يزال ، من أجل الحريات الديمقراطية ، وكفاحه المتصل في وجه جميع أساليب الضغط والقمع التي تمارسها السلطة عندنا ضد المفكرين والصحفيين ، والتي تتراوح بين الاعتقال والارهاب وطرد بعض المثقفين العرب من لبنان ، بحيث ان الحرية التي يتغنى بها عندنا ليست الا حرية نسبية يكتسبها المثقفون بنضالهم المستمر ، ولا تعطى لهم هبة من السلطات ، ولا منة من القانون .

أجل ، أيها الاصدقاء الادباء ! نحن أيضا نعاني من محاولات القمع والضغط على الحريات التي يعاني منها المثقفون في معظم أقطار الوطن العربي . وواجبنا هنا ، مرة أخرى ، أن ندين كل أسلوب من أساليب الارهاب الفكري ، سواء اتخذ شكل الاعتقال أو الحجز أو الطرد أو التهديد في الرزق ، او مصادرة الكتب والمجلات ومنعها، لان هذا أيضا نوع من الاعتقال ... ويؤسفنا ان نؤكد ان وضع الحرية الفكرية في البلاد العربية يزداد سوءا . وان الادباء المقموعين يزدادون عددا ، وان الاضطهاد الفكري بدأ يظهر حتى في بعض البلدان التي كانت ، الى عهد قريب ، تتورع عنه ..

من أجل هذا ، يجب أن نرفع صوتنا هنا ، في هذا البلد الذي عانى شعبه وضحى كثيرا من أجل الحرية ، لنطالب باطلاق جميع المعتقلين الذين حجزوا بسبب من أفكارهم أو معتقداتهم وباطلاق الكتاب العربي والمجلة العربية عبر الحدود بلا قيود ، وبالحيلولة دون المضي في ممارسة الارهاب الفكري .

ونود أن نقدم اقتراحا عمليا يوصي بتكوين لجنة خماسية أو سداسية من أعضاء المكتب الدائم للادباء العرب، تكون مهمتها المبادرة الى التحرك للدفاع عن حرية التعبير كلما تعرض كاتب أو مثقف لاي نوع من أنواع القمع أو الحجز أو الضغط أو الاذى ، في أي بلد عربي ، وان يتم ذلك بالاحتجاج أو التحرك للتقصي أو أي اسلوب آخر يؤدي الى رفع الضيم وكف الاذى واطلاق الحرية . ونقترح أن تتشكل هذه اللجنة التي يطلق عليها « لجنة الدفاع عن حرية التعبير » ، من فلسطين ومصر والجزائر والعراق وسوريا . فاذا أخذ المكتب الدائم بهذا الاقتراح، فان لبنان مستعد أن ينضم الى هذه اللجنة ، وسيسعد اتحادنا المشاركة فيها ..

وايا ما كان ، فان اتحاد الكتّاب اللبنانيين قد أخذ على نفسه عهدا بأن يظل رافع الصوت دفاعا عن حرية الكلمة العربية ، في لبنان وفي كل جزء من الوطن العربي. وقد وضع هذا الهم في رأس برنامج عمله المقبل بعد انتخاب هيئته الادارية الجديدة التي اختارت بالاجماع الدكتور ميشال سليمان أمينا عاما جديدا للاتحاد والتي تتابع مسيرة مؤسستنا في خدمة الثقافة العربية .

أيها الاخوة أعضاء المؤتمر العاشر للادباء العرب

سنستمع في الايام القادمة الى أبحاث ودراسات، وسنشارك جميعا في مناقشات وتوصيات ، وسننعم بقصائد الشعراء ... ولكن ذلك كله سيبقى بعيدا عن أن يؤتي ثماره وفاعليته في تطوير أدبنا العربي الحديث اذا لم نجعل همنا الاول في كتابة الابحاث وعقد المناقشات ونظم القصائد ، أن نوفر للاديب مطلق الحرية في التعبير وأن نناضل جميعا ، مهما تعرضنا للاذى والاضطهاد ، لنضمن لانفسنا هذه الحرية ـ رأسمالنا الاكبر ، وعنوان كرامتنا ، والسلام .